الحسين يعلم الناس

الصلوة في احرج ساعة

بقلم : الاستاذ أحمد امين

يقول الله تبارك وتعالى : « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين » . وفي موضع آخر : [ماسلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين .] وفي مكان آخر : « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . »

فلم يهتم الدين الاسلامي بشيء اهتمامه بالصلوة وقد جعلها أساساً لقبول بقية الاعمال بقوله : « الصلوة قربان كل تقي . اول مايحاسب عليه الصلوة . وان اول مافرض الله تعالى الصلوة وآخر مايبقى عند الموت الصلوة . وآخر مايحاسب به يوم القيمة الصلوة . فمن اجاب فقد سهل عليه مابعده ، ومن لم يجب فقد اشتد عليه مابعده . وقال [بين العبد وبين الكفر ترك الصلوة .]

ان النبي [ص] كان كثير الصلوة حتى تورمت قدماه واما علي عليه السلام فكان يصلي كل يوم وليلة الف ركعه وقد قال فيه ابن ابي الحديد : كان علي اعبد الناس واكثرهم صلوة وصوماً ومنه تعلم الناس صلوة الليل وملازمة الاوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده ان يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ، واما الحسين [ع] فكما روى ابن عبد البرفي [الاستيعاب] صح خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه وكان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة.

وقد صلى الحسين [ع] صلوات عدة مشهورات منذ خروجه من مكة فاراً بغية الاستشهاد في موضع آخر صيانة لحرمة بيت الله الحرام .

الأولى : انه عليه السلام بعد ان سار من بطن العقبة حتى نزل شراف امر عند السحر فتيانه فأستقوا الماء واكثروا ثم سار منها حتى انتصف النهار فلاقاهم [الحر] ومعه الف فارس وكان قد أثر فيهم العطش فأمر الحسين [ع] فتيانه ان اسقوا القوم وأروهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً ، ففعلوا وقد حضر وقت صلوة الظهر فأمر الحسين [ع] الحجاج بن مسروق ان يؤذن فلما حضرت الاقامة قال للمؤذن . اقم الصلوة فأقامها . فقال للحر : أتريد ان تصلي باصحابك ؟ فقال لا . بل تصلي أنت ، ونصلي بصلاتك فصلى الحسين عليه السلام بهم ، وكل دخل خيمته فلما كان وقت العصر أمر الحسين [ع] ان يتهيئوا للرحيل ، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر واقام . واستقدم الحسين [ع] فصلى بالقوم ثم سلم وانصرف اليهم بوجهه . فحمد الله واثنى عليه وقال . اما بعد ، ايها الناس إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن ارضى لله عنكم ونحن اهل بيت محمد اولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين مالبس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان فان ابيتم الا الكراهة لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن غير ماتتنى به كتبكم وقدمت علي به رسلكم انصرفت عنكم . فأمتنع الحر واصحابه وجعجعوا به حتى اوردوه كربلا .

وان اتمام الحر بأبي عبد الله الحسين [ع] في صلاته يعرفنا قبلا ان نفسه كانت لائقة لقبول الحق والفوز بالشهادة وحسن السمعه لذلك يأتي حسيناً يوم العاشر نادماً تائباً فاراً من ابن سعد واصحابه قائلا : هل لي من توبه . فيتوب على يد الامام « ع » ويستشهد بين يديه . ويفوز بالخلود الأبدي في نعيم أبدي ، وقد اتم الحر ببذا الرشاد الحجة على ابن سعد ومن والاه .

ونادى عمر بن سعد عشية يوم الخميس لتسع مضين من المحرم قائلا :

ياخيل الله اركبي وبالجنة ابشري فركب الناس وزحفوا بعد العصر والحسين [ع] جالس امام بيته محتب بسيفه فجاءه العباس عليه السلام قائلا : ياأخي أتاك القوم فقال ياعباس اركب بنفسك انت حتى تلقاهم وتقول لهم مابالكم وما بدالكم وتسألهم عما جاء بهم . فأتاهم العباس عليه السلام في نحو عشرين فارساً فسألهم فقالوا : قد جاء امر الامير ان نعرض عليكم ان تنزلوا على حكمه او نناجزكم قال . لاتعجلوا حتى ارجع الى ابي عبد الله فاعرض عليه فلما اخبره العباس بقولهم قال له :

ارجع اليهم فان استطعت ان تؤخرهم الى غدوة وتدفعهم عنا العشيه لعلنا نصلي لربنا الليله وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني كنت احب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار فرجع العباس عليه السلام وسألهم ذلك فتوقف ابن سعد فقال له عمر بن الحجاج الزبيدي سبحان الله ، والله لو لم يجيء من الترك او الديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم فكيف وهم آل محمد فجمع الحسين « ع » اصحابه قرب الماء فقال : أثني على الله احسن الثناء واحمده على السرا والضراء، اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وافئدة فاجعلنا لك من الشاكرين ثم طلب الى اصحابه ان يتفرقوا عنه جوف الليل وقال لهم انتم في حل مني ، فلم يقبلوا ، وقاتلوه بكلمات تدل على عظمه الايمان فيهم، فقام الحسين « ع » واصحابه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون ، باتوا ولهم دوي كدوي النحل مابين قائم وقاعد ، وراكع وساجد :

سمة العبيد من الخشوع عليهم لله ان ضمتهم الأسحار

فاذا رجلت الضحى اشهدت لهم بيض القواضب انهم أحرار

ولم يشغلهم ماهم فيه من الشدائد وانتظار القتل عن ذكر ربهم ، فمر اليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلا ، ولا اعلم كيف اصف هذا التهجد . فانهم كانوا يرون انحق علانية وقد رفعت عنهم الحواجب وكشف لهم الغطاء .لذلك تراهم مأنوسين فرحين مستبشرين فهذا برير يداعب عبد الرحمن الانصاري ويضاحكه فيقول له عبدالرحمن يابرير ماهذه ساعة باطل فقال برير : لقد علم قومي آني ماحببت الباطل كهلا ولاشاباً وانما افعل ذلك استبشاراً بما نصير اليه .فوالله ماهو الا ان نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا ونعالجهم بها ساعة ثم نعانق الحور العين .

واعظم صلوة يصليها الحسين « ع » هي صلوة ظهر العاشوراء ففي بحبوحة الوغى يأتي ابو ثمامه الصيداوي حسيناً قائلا : ياابا عبد الله لاتقتل حتى أقتل دونك . واحسب ان القى الله ربي وقد صليت هذه الصلوة . فرفع الحسين « ع » رأسه الى السماء وقال ذكرت الصلوة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا اول وقتها . فالحسين « ع » يدعو لابي ثمامة ان يجعله الله من المصلين . كل ذلك لأن لافضيلة ولا

للشيخ محسن فرج

ويل الفرات أباد الله غامره ورد وارده بالرغم ضمآنا

لم يطف حر غليل السبط باردة حتى قضى في سبيل الله عطشانا

تعلوه اسياف من لادونه أحد وما سوى الله شيئاً فوقه كانا

فياسماء لهذا الحادث إنفطري فما القيامة ادهى للورى شانا

مقام اعلى من ان يعد الانسان من المصلين . وهذا تفسير قوله تعالى

« ان الانسان خلق هلوعاً ، اذا مسه الشر جزوعاً ، واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين » . فاستثنى الله تعالى المصلين الذاكرين لله. فهؤلاء بصلواتهم المقبولات تطهر نفوسهم فتأخذ بالكمال ويكونون اذ ذاك فوق البشر العادي فلا يجزعون عند الشر ولا يمتنعون اذا مسهم الخير .

ثم قال الحسين [ع] سلوهم ان يكفوا عنا ، ففعلوا فقال لهم الحصين بن تميم انها لاتقبل . فقال له حبيب بن مظاهر زعمت لاتقبل الصلوة من آل رسول الله « ص » وتقبل منكم ياحمار . فحمل عليه الحصين وحمل عليه حبيب رضوان الله عليه فقتل بديل بن صريم ثم قتل فقال الحسين (ع) عند الله احتسب نفسي وحماة اصحابي لله درك ياحبيب ، لقد كنت فاضلا ، تختم القرآن في ليلة واحدة وقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله تقدما امامي حتى اصلي الظهر فتقدما امامه في نحو من نصف اصحابه حتى صلى بهم صلوة الخوف فوصل الى الحسين سهم فتقدم سعيد بن عبدالله ووقف بقية النبال بنفسه وما زال ولا تخطى فما زال يرمى بالنبل حتى سقط الى الارض .

هذه صلوة يصليها الحسين [ع] في احرج ساعة بين السيوف والرماح ، ويعلم الناس عظمة الواجب وانه لايترك بحال وان امر الله فوق جميع الاعتبارات . وان الحرب والنضال انما هو لتقويم دين الله واحياء شعائر الله . يعلم الناس ان مبدأ الفضائل انما هو في صلوة يؤديها الانسان شكراً لخالقه وان لافضيلة دون صلوة وخشوع لله تبارك وتعالى . يقدم درساً عملياً : ان الشواغل الدنيوية من تجارة ومرض ولعب وسباق وجهاد ، وغيرها محكومة تجاه عظمة الصلاة ولاعمل لمن لاصلوة له .

كاظمية احمد أمين